الفصل السادس

قصة
عمرو بن الجموح رضي الله عنه

obeikandl.com

obeikandl.com

قصة عمرو بن الجموح رضي الله عنه

٣٣

١٠ ـ كان «عَمْرُو بنُ الجَمُوح» رجلاً أعرج شديدَ العَرَج، وكان له أبناءٌ أربعةٌ مثلَ الأسود، يشهدون مع رسول اللّه ﷺ المشاهد، ويدركون الغَزَوات، يتسابقون لنيل الشهادة في سبيل اللّه!

فلمَّا كان يومُ أُحد، أرادوا حَبْسَ أبيهم عن الخروج للقتال، **وقالوا له**: إن اللّهَ عزَّ وجلَّ قد عَذَرك، فأنت كبير السِّنِّ، لا تقدر على الكرِّ والفَرِّ، ونحن نكفيك أمرَ القتال. !

فأتى رسولَ اللّه ﷺ فقال له: إنَّ أبنائي يريدون أن يَحْبِسوني عن الخروج، للجهاد معك يا رسول اللّه، وواللّهِ إني لأرجو أنْ أَطَأَ بعرْجَتي هذه الجنَّةَ!

فقال له الرسول ﷺ: أمَّا أنتَ فقد عَذَرك اللّه، فلا جهاد عليك.

ثم قال لبنيه ناصحاً: دَعُوا أباكم يخرج ولا تمنعوه، لعلَّ اللّهَ عزَّ وجلَّ يرزقه الشهادة في سبيله!

فخرج معه ﷺ، وقاتل حتى استشهد في غزوة أحد، ونال ما كان يرجوه ويتمنَّاه، فقد رزقه اللّه الشهادة، وضمن دخول الجنة بشهادة الصادق المصدوق سيدنا محمد رسول اللّه، حيث قال: (تضمَّن اللّه ـ أي تكفَّل ـ لمن خرج في سبيله، لا يُخْرِجه إلَّا جهاد في سبيلي، وتصديقٌ برسلي، فهو ضامنٌ أنْ أُدخله الجنة، أو أُرجعه إلى منزله، الذي خرج منه، نائلاً ما نال، من أجرٍ أو غنيمة . . .)[١] الحديث.

من أشاع قتْلَ الرسول؟

لقد كان يومُ أُحد، يوم بلاءٍ وتمحيص للناس، أكرم اللّهُ فيه من أكرم من المسلمين، بالشهادة في سبيل اللّه، حتى أصاب الرسولَ ﷺ ما أصابه في تلك الغزوة، فقد وقع في حُفرة، وكُسِرت رباعيتُه ـ السنُّ المجاورةُ للناب ـ وشُجَّ وجهُه الشريفُ، وجُرحت شفتُه السفلى، وأشاعَ عدوُّ اللّهِ (ابنُ قَمِئة) أن محمداً قد قُتل!

(١) انظر قصته في سيرة ابن هشام، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه وهو حديث طويل.

وهناك هبَّ (مصعبُ بنُ عُمير) بضراوةٍ بالغة، يدافع عن النبي ﷺ ويردُّ عنه هجومَ الأعداء، حتى استشهد في سبيل اللَّه، قتلَهُ (ابنُ قَمِئَة) وهو يظنُّه رسولَ اللَّهِ، لشَبَهِه به، فانصرف عدوُّ اللَّه، وهو يقول: قتلت محمداً!

أمّا رسول اللَّه فبعد أن وقع في الحفرة، التي حفرها له (أبو عامر) الفاجرُ وأخرجه منها بعض الصحابة الكرام، تَطاوَلَ عدوُّ اللَّه «أُبيُّ بنُ خَلَف» فأقبلَ نحوه مسرعاً، وهو يقول: أينَ محمد؟ لا نجوتُ إن نجا!!

وهناك أراد بعضُ من يحيط برسول اللَّه ﷺ أن يخرجوا إليه ليقتلوه!!

فقال لهم الرسول الكريم: دعوه، فلما دنا منه، تناول الرسول ﷺ الحربةَ، وانتفض انتفاضةً تطايَرَ لها من حوله، وأبصر عنقَه من بين الدِّرع والخَوْذَة، فطَعَنه بها طعنةً، تَدحْرج بها عن فرسه، وأخذ يخور خوار الثور، وقال: قتلني محمد واللَّهِ، فحمله المشركون وقالوا له: لا بأس عليك، إنه خَدْش يسير، فقال لهم: إنكم لا تدرون، إنَّ محمداً قال لي بمكة: أنا أقتلك إن شاء اللَّه، فواللَّهِ لو بصَقَ عليَّ لقتلني، فمات عدوُّ اللَّه في الطريق، وهم عائدون به إلى مكة(١).

قبسات مضيئة من السيرة العطرة

هذه قبساتٌ وأضواء من الحبِّ الصادق، رأيناها في (غزوة أحد) تكشف لنا عن مدى تضحيات أصحاب رسول اللَّه، للحفاظ على حياة الرسول ﷺ، فقد رأينا مَنْ حوله يحمون الرسولَ بأجسادهم، من نبال المشركين وضَرَباتهم، ورأيناهم يتساقطون الواحدَ منهم تلو الواحد، تحت وابل السِّهام، وبوارقِ السيوف، وهم في نشوة عارمة، وحرص شديد على حفظ حياة الرسول ﷺ. !

وكم في غزوة أُحد من المشاهد الرائعة، التي تكشف عن أثر هذه المحبة، التي تغمر قلبَ صاحبها!؟

رضيَ اللَّهُ عن أصحاب رسولِ اللَّه، فقد بذلوا الأرواحَ والمُهَج، للدفاع عن رسول اللَّه، ونصرةِ دينِ اللَّه، فأعزَّهم اللَّهُ ونصرهم على أعدائهم، وأصبح حبُّهم فريضةً على كل مسلم ومسلمة، لأن نعمة الإسلام وصلت إلينا عن طريقهم، وبجهدهم ومجاهدتهم، فجزاهم اللَّه عنا خير الجزاء، وأسكنهم اللَّهُ فسيح جناته.

* * *

(١) انظر الرحيق المختوم في السيرة النبوية.

قصة الغسيل حنظلة
رضي اللَّه عنه

٣٤

ولا ننسى ذلك البطلَ المغامر (حنظلةَ بنَ أبي عامر) وهو المسمَّى بـ« حنظلةَ الغسيل» أبوه ذلك الشقيُّ «أبو عامر» الراهبُ، المسمَّى بالفاسق، الذي حَفَر الحفرة، التي وقع فيها رسولُ اللَّه ﷺ، الذي مضى ذكره، وقد كان (حنظلة) حديثَ عهد بعروسه التي تزوَّج بها!

لمَّا سمعَ المنادي يهتف للجهاد، وكان مع امرأته يضاجعها، انخلع من أحضانها، وقام من فوره إلى الجهاد، قبل أن يغتسل، فلمَّا التقى بجيش المشركين في ساحة القتال، شقَّ صفوف الأعداء، فقتل منهم من قَتَل، حتى خَلَص إلى قائد المشركين (أبي سفيان).

كاد أن يقضي عليه، لولا أن رزقه اللَّه الشهادة، فقد شدَّ على (أبي سفيان) فلمَّا علاه، عرض له (شدَّاد بن الأسود) فضربه حتى قتله، وقد رآه الرسول تغسّله الملائكة، ولهذا سُمِّي (حنظلة الغسيل)!!

رحمَ اللَّهُ أصحابَ رسولِ اللَّه (مصعباً، وطلحةَ، وحمزة، وحنظلةَ، وسعدَ بن الربيع، وأنسَ بن النضر) وسائر من نافَحَ عن رسول اللَّه ﷺ، واستشهد في تلك الغزوة، وأسكنهم فسيح جناته، وجَمَعنا بهم تحت لواء سيد المرسلين، إنه سميع مجيب الدعاء، والحمد للَّه رب العالمين.

❊ ❊ ❊

obeikandi.com

الفاجعةُ الأليمةُ في قصة «خُبَيْب، وعاصم، وزيد بن الدثنة»

٣٥

حادثةُ أليمة مفجعة، حدثت في السنة الرابعة من الهجرة، بعد غزوة أُحد، ومأساةٌ آلمت قلوبَ المؤمنين، لأنها كانت عن غدرٍ وخيانة، وكان مدبِّروها فسقة فجرة.!

ففي شهر صفر ـ السنة الرابعة من الهجرة ـ قدمَ على رسول اللَّه ﷺ وفدٌ من قبائل «عُضَل» و«قَارَة» ذكروا أنه انتشر فيهم الإسلامُ، وهم بحاجةٍ إلى من يعلِّمهم الدينَ، ويُقْرِئهم القرآنَ، فبعثَ معهم الرسول ﷺ عشرةً من أصحابه، فيهم «عاصمُ بنُ ثابت» و«زيدُ بن الدَّثنة» و«خُبيب بن عَدِيّ» وأمَّر عليهم «عاصماً» رضوانُ اللَّه عليهم أجمعين.!

خرجوا ليعلِّموا أصحابَ هذه القرى الدينَ، ويَقْرءوا عليهم القرآنَ، فانطلقوا حتى إذا كانوا بين «عُسْفانَ» و«مكة» خرج عليهم جماعةٌ من قبيلة (هُذَيل) يقال لهم «بَنُو لِحْيان» يبلغ عدَدُهم مائةَ مقاتل، تَبِعوا آثارَهم، حتى لحقوهم وأحاطوا بهم ـ وكانت خيانةً مدبَّرة ـ فقالوا: لكمُ العهدُ والميثاقُ، إن نزلتم إلينا، أن لا نقتل منكم رجلاً واحداً، وكانت تلك بدايةَ المكر والغَدْر!!

أمَّا «عاصمٌ» رضي اللَّه عنه، فقال لأصحابه: أمَّا أنا فلا أنزل في ذمَّةِ كافر، اللهمَّ أخبِرْ عنَّا نبيَّك محمداً ﷺ بما جرى لنا.!

ولمَّا لم ينزلوا على عهدهم، قاتلوهم حتى قتلوا «عَاصِماً» أميرَهم، في سبعةِ نفرٍ بالنَّبْل.

وبقي «خُبَيب» و«زيد» ورجلٌ آخر، فأعطوهم العهد والميثاقَ مرة أخرى، فنزلوا إليهم بعد أن وَثِقُوا بعهدهم، فلمَّا تمكَّنوا منهم، حلُّوا أوتَارَ قِسيِّهم فربطوهم بها.!

فقال الرجل الثالثُ الذي معهما: هذا أوَّلُ الغَدْر، وأبى أن يَصْحَبَهم، فجرُّوه وعالجوه على أن يَصْحَبَهم، وهم يقولون له: لا تخف، فأبى أن يذهب معهم، فقتلوه وتركوه مضرَّجاً بالدماء.!

مقتل خُبَيْب بنِ عديّ رضي اللَّه عنه

وانطلقوا بـ(خُبيب) و(زيد) فباعوهما في مكة، فاشترى بنو الحارث (خُبيبَ بنَ عَديّ) ـ وكان خُبيبٌ قتلَ (الحارثَ) يومَ بدر ـ فمكثَ عندهم أسيراً، حتى إذا عزموا على قتله، خرج (بنو حارثة) ليبحثوا عن مكانٍ يقتلونه فيه، وتجتمع عليه القبيلة، ليشْفُوا حقدهم وغليلَهم منه.

حادثة غريبة

كان (خُبَيبٌ رضي اللَّه عنه) قد استعار من بنات الحارث موسى لبعض حاجته، فأعارته إيَّاه، وغفلتْ عن صبِيٍّ لها، فمشى الطفلُ حتى وَصَلَ إليه، فأجلسه على فخذه، فلمَّا رأتْ ولدها عنده، فزعتْ فزعةً شديدة، عَرَف ذلك منها، وكانت الموسى بيده، فقال لها: أتَخْشَيْنَ على ولدكِ أن أقتلَه؟ ما كنتُ لأفعل ذلك إن شاء اللَّه، فأنا مسلمٌ والحمد للَّه، وديني ينهاني عن العدوان.!

تقول المرأة: ما رأيتُ أسيراً قطُّ خيراً من (خُبيب) واللَّهِ لقد رأيتُه يأكل من قِطْفٍ ـ عنقود ـ من عنب، وما بمكة يومئذٍ ثمرةٌ، وإنه لموثَقٌ بالحديد، وما كان ذلك إلَّا رزقٌ رزقه اللَّهُ إيَّاه!!

خُبيبٌ أولُ من سنَّ الصلاة للشهداء

فلمَّا خرجوا به من الحرم ليقتلوه، قال لهم: دعوني حتى أصلِّي ركعتين، فتركوه حتى صلَّى، فلمَّا صلَّى أطال الصلاة، فلمَّا سلَّم قال لهم: لولا أن تظنُّوا أنَّ ما بي هو الجَزَعُ ـ أي الخوف ـ لزِدْتُ في صلاتي، وأطلتُ بها، ثم قال: اللهمَّ أحْصِهم عَدَداً، واقتُلْهم بَدَداً، ولا تُبْقِ منهم أحداً، فكان أوَّل من سنَّ الركعتين، قبل القتل، ثم قال:

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِماً ... عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ في اللَّهِ مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلٰهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَشْلَاءِ جِسْمٍ مُمَزَّعِ
وَلَسْتُ بِمُبْدٍ لِلْعَدُوِّ تَخَشُّعاً ... وَلَا جَزَعاً إِنِّي إِلَى اللَّهِ مَرْجِعِي

ثم قام إليه (عُتبةُ بنُ الحارث) فقتله[1]، وهو صابرٌ محتسب، لم يظهر عليه شيء من الخوف، وعنُقُه في أيدي الطغاة الظالمين.

---

(١) القصة رواها البخاري ٣/ ٢٧ باب غزوة الرَّجيع وبئر معونة، كتاب الغزوات، وقد اختصرنا بعض العبارات منها خشية الإطالة.

مقتل زيد بن الدثنة رضي الله عنه

٣٦

وأمَّا (زيدُ بنُ الدَّثِنة) رضي اللَّه عنه فقد اشتراه (صفوان بن أمية) فقتله بأبيه، على مرأى ومشهد من صناديد الكفر والضلالة، وقبل أن يقدموا على قتله، جاء إليه (أبو سفيان) فقال له: يا زيدُ، أيسرُّكَ أنَّ محمداً مكانَك تُضرب عنُقُه، وأنك في أهلك آمِنٌ؟

فقال له رضي اللَّه عنه: لَا واللَّهِ، ما يسرُّني أنّي في أهلي، وأنَّ محمداً في مكانه الذي هو فيه، تُصيبُه شوكةٌ تؤذيه!!

فقال أبو سفيان: ما رأيتُ أحداً يحبُّه أحدٌ، كحبِّ أصحابِ محمدٍ محمداً[(١)].

حفظُ اللَّهِ لجثمان عاصم بن ثابت

ويذكر الإمامُ البخاري وابن هشام في السيرة (أن عاصماً لمَّا قُتِل، بعثت قريشٌ يطلبون شيئاً من جسده، ليعرفوا أن (عاصماً) هو نفسُه المقتولُ، ويتثبتوا من الأمر ـ وكان عاصمٌ قد قَتَل عظيماً من عظماء قريش يوم بدر ـ ولمَّا أرادوا أن يقتطعوا شيئاً من جسده، بعثَ اللَّه عليه مثلَ الظُّلَّة من الدَّبْر ـ أي الزنابير ـ فحمتْه منهم، فلم يستطيعوا أن يقربوا منه، أو يأخذوا شيئاً من جسمه.

وكان (عاصمٌ) رضي اللَّه عنه قد أعطى عهداً، ألَّا يمسَّ مشركاً، ولا يَمَسَّه مشرك، فلم يستطيعوا أن يأخذوا منه شيئاً، ولا أن يمسُّوه، ولمَّا بلغ الخبرُ عمر رضي اللَّه عنه قال: يحفظُ اللَّهُ عبده المؤمنَ بعد وفاته، كما يحفظه في حياته[(٢)].

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٢/ ١٧٢.

(٢) انظر صحيح البخاري ٣/ ٢٨ وزاد المعاد ٢/ ١٠٩ وسيرة ابن هشام ٢/ ١٦٩.

obeikandl.com

مأساة أخرى في بئر معونة

٣٧

في الشهر الذي وقعت فيه مأساة الأبطال العشرة (عاصم، وزيد، وخُبيب) وبقية العشرة، الذين فَتَك بهم الطغاة الظالمون، وقعت مأساةٌ أخرى، هي أكبرُ وأضخم من المأساة الأولى، وهي التي تعرف بواقعة (بئر معونة).

وتوضيح القصة أنه قدم على رسول اللَّه ﷺ (عامرُ بنُ مالك) قدم عليه المدينة، فدعاه رسولُ اللَّه إلى الإسلام، فلم يُسْلِم، ولم يُظهر كراهيته للإسلام، بل قال: يا محمد، لو بعثتَ أصحابك إلى (أهل نجد)، يدعونهم إلى أمرك ـ يعني الإسلام ـ لرجوتُ أن يستجيبوا لك!!

فقال له ﷺ: إني أخاف عليهم أهلَ نجد!!

فقال له عامر: أنا لهم جارٌ ـ أي هم في جواري وحمايتي ـ فابعثهم، فلْيدعوا الناسَ إلى دينك.!

القُرَّاءُ السبعون إلى أهل نجد

فبعث رسولُ اللَّه ﷺ (٧٠) سبعين رجلاً من أصحابه، من خيار المسلمين، يُسمَّوْن بالقُرَّاء ـ أي حفظة كتاب اللَّه ـ وكانوا جميعاً من الأنصار، من فضلائهم، وسادتهم، وقُرَّائهم، كانوا يحتطبون بالنهار، ويصلُّون بالليل، أرسلهم ﷺ ليعلِّموا أهلَ نجدٍ القرآنَ، ولمَّا وصلوا إلى (بئرِ مَعُونة) ـ وهم في طريقهم إلى نجد ـ بعثوا أحدَهم، وهو (حَرَامُ بنُ مِلْحانَ) بكتاب رسولِ اللَّه ﷺ إلى عدوِّ اللَّه (عامر بنِ الطُّفيل) فلمَّا أتاه الكتابُ، لم ينظر فيه، وأمرَ رجلاً فطَعَنه بالحَرْبة من خلْفه، فلمَّا أنْفَذَها إلى صدره، وسالَ منه الدَّمُ، قال حرامٌ: اللَّهُ أكبرُ، فُزْتُ وربِّ الكعبة[١]!!

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ٢٩.

رواية البخاري في مقتل القُرَّاء السبعين

روى البخاري عن أنس رضي اللَّه عنه أنه قال:
(لمَّا طُعِنَ «حَرَامُ بنُ مِلْحانَ» أخُو «أمِّ سُليم» يوم بئْرِ معونةَ، قال بالدَّم هكذا، فنضَحَه على وجهه ورأسِه، ثم قال: فُزْتُ وربِّ الكعبة).

ثم استعان عدوُّ اللَّه (ابنُ الطُّفَيْل) على بقية السبعين من القُرَّاء، بقبائلَ من العرب «رِعْلٍ» و«ذَكْوانَ» و«عُصَيَّةَ» وهم قبائل متوحشة، فأحاطوا بأصحاب رسولِ اللَّهِ ﷺ، فلمَّا رأوهم، أخذوا سيوفهم فقاتلوهم، حتى قُتلوا عن آخرهم.!

وتأثَّر النبيُّ ﷺ على مقتل هؤلاء القُرَّاء الصالحين، وبقي شهراً يقنتُ في صلاة الصبح، يدعو على قبائلِ من بني سُلَيْم، على(رِعْلٍ، وذكوانَ، وبني لِحْيَان، وعُصيَّة، الذين عَصَوا اللَّه ورسوله)[١].

العبرةُ التي نستخلصها من المأْساتَيْنِ

إن في هذه المآسي المفجعة، التي حدثت للدعاة والقُرَّاء، عِبَراً وعظات، ينبغي الوقوفُ عندها قليلاً، لنتعرَّفَ على الحكمة منها، وهي:

أولاً: أن هذا الدين يحتاج إلى تَضْحية، وجهودٍ جبَّارة، لنشر نورِ اللَّهِ في الأرض، ولو أنَّ أصحاب الرسول، قعدوا في مكة والمدينة، ولم يخرجوا للدعوة إلى اللَّه، لبقي الإسلام محصوراً في تلك الديار، ولَمَا انتشر دينُ اللَّهِ في العالم، ولذلك أُمِرَ المسلمونَ بالجهاد، لتَطهير الأرضِ من رجِس الوثنيةِ والشرك، وإعلاءِ كلمة اللَّه.

الدعوة ليست وظيفةَ الأنبياء وحدهم

ثانياً: ليس أمرُ الدعوة إلى اللَّه، من وظيفة الأنبياء وَحْدَهم، أو من وظيفة العلماءِ، إنما يُطالب كلُّ مسلم بالدعوة إلى اللَّه، عملاً بقول اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤] وقولهِ جلَّ ثناؤه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ...﴾ [يوسف: ١٠٨].

المحبة الصادقة للرسول ﷺ

ثالثاً: الصورة الرائعة والمحبة الصادقة، التي تجلَّتْ في الموقف العظيم في جواب «زيدِ بنِ الدَّثنة» لأبي سفيان حين سأله: أتحبُّ أن محمداً مكانَكَ تُضْرَبُ عنقُه، وأنت آمنٌ في أهلك؟

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٢/ ١٧٣ وصحيح البخاري ٣/ ٢٩.

فيجيبه واللَّهِ ما أحبُّ أن يُشاكَ محمدٌ بشوكة، وأنا جالسٌ في أهلي!!

ومن هنا نعلم مدى المحبة العميقة، التي كانت تنطوي عليها أفئدةُ الصحابة رضوانُ اللَّه عليهم للرسول ﷺ، ممَّا جعلهم يقدّمون الأرواح رخيصةً، دون نبيِّهم الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم.!

حبُّ الصحابة للشهادة في سبيل اللَّه

رابعاً: حبُّ الصحابة رضوان اللَّه عليهم للموت في سبيل اللَّه، بحيث كان ذلك أسمى أمانيهم، ويتَّضح هذا بجلاء، في قول ذلك الصحابي «حرام» وقد طُعِنَ بيدِ الغَدْر والخيانة: «فُزْتُ وربِّ الكعبة».

وقولِ الآخر: «غداً ألقى الأحبَّة محمداً وصحبه».

وقولِ خُبيب بن عَديّ:

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِماً   عَلَى أيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللَّهِ مَصْرَعِي

كرامة اللَّه لأوليائه المخلصين

خامساً: الكرامة التي يعطيها اللَّه عزَّ وجلَّ لأوليائه، فقد رؤي (خُبيبٌ) رضي اللَّه عنه وهو أسيرٌ مقيَّد بالحديد، يأكل قِطْفاً من العنب، وما بمكة يومئذٍ عنبٌ ولا أيُّ ثَمَرة.

وكذلك «عاصم» حَمَاه اللَّه بعد قتله، من أن يأخذوا شيئاً منه، فكان ذلك كرامةً له من اللَّه تعالى، وما كان معجزة لنبيّ كان كرامةً لوليٍّ، واللَّه تعالى يحفظ المؤمن في حياته، كما يحفظه في مماته، كما قال الفاروقُ (عمر) رضي اللَّه عنه وأرضاه.

القنوتُ في الكوارث والمحن

سادساً: القنوتُ في الصلاة في أيام المآسي والكوارث، فقد بقي ﷺ شهراً كاملاً، يقنت في صلاة الصبح، يدعو على أحياءٍ من العرب «رِعْل، وذَكْوانَ، وعُصَيَّةَ، وبني لِحْيانِ» الذين قتلوا القُرَّاء السبعين من الأنصار، كما في صحيح البخاري، وقد أخبر الرسول ﷺ عن هؤلاء الذين استشهدوا في (بئر معونة) أنهم قالوا: (إنا قد لقينا ربَّنا فرضيَ عنَّا وأرضانا)[١] وأُخبرَ رسولُ اللَّه ﷺ ذلك عنهم بطريق الوحي الذي جاءه به جبريل الأمينُ عليه السلام.

(١) انظر صحيح البخاري كتاب المغازي ٣/ ٢٩ باب غزوة الرجيع وبئر معونة.

قصة إسلام أبي ذَرّ وتحمله الشدائد

٣٨

من هو أبو ذَرّ؟ وما هي قبيلته التي ينتسب إليها؟ وكيف كان إسلامه؟

أبو ذرٍّ: اسمه «جُنْدُبُ بنُ جُنَادةَ» الغفاري، رضي اللّه عنه وأرضاه، من قبيلة بني غفار، أسلم (أبو ذَرٍّ الغفاري) قبل الهجرة بسنواتٍ عديدة، وكان رجلاً شديد العزيمة، قويَّ الإرادة، يتحرَّى البحثَ عن الحقِّ أينما كان، لا يصرفه عن طلب الحقِّ صارفٌ، بَلَغهُ مخْرَجُ النبيِّ ﷺ في مكة، وكان في دياره في (بني غِفَار) ولهذا يسمَّى (الغِفَاري) فأراد أن يتعرف على الإسلام، ودعوةِ النبي ﷺ، فأرسل أخاه ليأتيه بالخبَر!!

obeikandl.com

قصة أبي ذر كما يرويها البخاري

ولنذكر قصة إسلامه مفصَّلة، كما رواها لنا الإمام البخاريُّ رضي اللَّه عنه في صحيحه، بسنده عن ابن عباس حيث قال:

(لمَّا بلغَ (أبَا ذرٍّ) رضيَ اللَّهُ عنه، مبعثُ رسولِ اللَّه ﷺ، قال لأخيه: اركبْ إلى هذا الوادي ـ يعني مكة ـ فاعلمْ لي عِلْمَ هذا الرجل، الذي يزعم أنه نبيٌّ، يأتيه الخبرُ من السَّماء، واسمعْ ما يقوله، ثم ائتني به!!

فانطلقَ أخوه حتى قدمَ مكة، وسمعَ قولَ النبي ﷺ، وما يدعو إليه، ثم رجع إلى أخيه (أبي ذرٍّ) فقال له: رأيتُ رجلاً يسمِّيه الناسُ الصَّابئَ ـ يعني الخارج عن دينِ الأمة ـ هو أشبَهُ الناس بك، ورأيتُه يأمر بمكارمِ الأخلاق، وسمعتُ منه كلاماً، ما هو واللَّهِ بالشعر!!

فقال له أبو ذر: ما شَفَيْتني ممَّا أردتُ من أمرِي!!

فتزوَّدَ أبو ذرٍّ ـ أي أخذ معه زاد المسافر ـ وحمل شَنَّةً ـ أي قُربة ـ فيها الماء، وقصدَ السفرَ إلى الرسول ﷺ بنفسه.!

أبو ذر يتوجَّه إلى مكة المكرمة

ثم توجَّه حتى قدمَ مكةَ، وهو لا يعرف مكان رسول اللَّه ﷺ.

● **فأتى المسجد الحرامَ فالتمسَ النبيَّ ﷺ ولا يعرفُه**، وكره أن يسأل أحداً عنه ـ أي خشيةَ أن ينكشف أمره عند المشركين ـ حتى أدركه بعضُ الليلِ، فاضطجع في المسجد الحرام، فرآه عليٌّ رضي اللَّه عنه، فعرف أنه غريب، فأشار إليه فتَبِعه، فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء، حتى أصبحَ الصباحُ، ونامَ تلك الليلة بضيافة عليّ رضي اللَّه عنه.

● **وفي الصباح احتملَ قِرْبتَه وزادَهُ**، ومضى إلى المسجد، وظلَّ ذلك اليوم لا يرى النبيَّ ﷺ، ولا يدري مكانَه، حتى أمسَى، فعاد إلى مَضْجعه، فمرَّ به (عليٌّ) رضي اللَّه عنه، فقال له: أمَا آن للرجل أن يعرف منزلَه!؟ ـ يدعوه عليٌّ إلى ضيافته ـ فذهب به معه، لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء ـ أي لا يسأله عن سبب مجيئه إلى مكة ـ.!

● **حتى إذا كان اليوم الثالث عاد إلى مثل ذلك**، فأخذه معه إلى منزله، ثم قال له: أَلَا تحدِّثُني ما الذي أَقْدَمك؟

تعرُّف عليٍّ لمقصد أبي ذرٍّ رضي اللَّه عنه

قال له أبو ذر: إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لتُرْشِدَنَّني فعلتُ!!

فأجابه عليٌّ إلى ما طلب، فأخبره عن سبب ذلك وسببِ قدومه، وأنه جاء يبحث عن رسول اللَّه ﷺ، يريد أن يعرف دعوته، ويدخل في دين الإسلام.!

● **فقال له علي:** إنَّ أمرَ محمد حقٌّ، وهو رسولُ اللَّه ﷺ، فإذا أصبحتَ فاتْبَعْني، فإني إذا رأيتُ شيئاً أخافُ عليك منه، قمتُ كأني أُريقُ الماءَ، فإنْ مضيتُ فاتْبَعْني، حتى تدخلَ مدخلي، فَفَعَل.!

فانطلقَ يقفوه ـ أي يتبعه ـ حتى دخلَ على النبي ﷺ، ودخل معه (أبو ذرٍّ) فسمع من قوله، وأسلمَ مكانه ـ أي أسلم في الحال ـ.

● **فقال له النبي ﷺ:** ارجعْ إلى قومك، فأخبرهم بالإسلام حتى يأتيك أمري!!

أبو ذرٍّ يصرخ بإسلامه متحدياً قريشاً

● **فقال له أبو ذر:** والَّذي نفسي بيده، لأصرخنَّ بها بين ظَهْرانَيْهم ـ أي أعلنُ إسلامي على رؤوس الأشهاد ـ فخرج حتى أتى المسجدَ، فنادى بأعلى صوته (أشهدُ أن لا إلٰهَ إلَّا اللَّهُ، وأن محمداً رسولُ اللَّه) فقام المشركون فضربوه حتى أضْجَعوه ـ أي سقط على الأرض من كثرة الضرب ـ وأتى العباسُ فأكبَّ عليه لينقذه منهم، وقال لهم: ويْلَكُم، ألستُم تعلمون أنه من غِفَار؟ وأنه طريقُ تُجَّاركم إلى الشام؟ فأنقذه منهم!!

● **ثم عاد أبو ذر من الغَدِ لمثلها** ـ يعلن إسلامه، ويشهد أن لا إلٰه إلا اللَّه ـ فضربوه ضرباً شديداً، وثاروا إليه، فأكبَّ العباس عليه)[(١)].

يتحدَّى بإسلامه المشركين

هذه رواية الإمام البخاري في كتاب المناقب، وفي رواية له أخرى من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما أن (أبا ذرٍّ) لمَّا سَمِع كلامَ الرسول ﷺ، وأعلَنَ أمامه

---

(١) انظر صحيح البخاري ٢/ ٣٢٢.

إسلامه، جاء إلى قريش فقال: (يا معشر قريش، إني أشهد أن لا إلٰه إلا اللَّهُ، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسوله!!

فقال بعضهم لبعض: قوموا إلى هذا الصابئ، فقاموا نَحْوي، فضربوني ضرباً شديداً، حتى كدتُ أن أموت، فأدركني العباسُ فأكبَّ عليَّ، ثم أقبلَ عليهم فقال لهم: ويلكم، أتقتلون رجلاً من غفار، ومتجرُكم وممرُّكم على غفار؟ فأَقْلعوا عني.!

فلمَّا أن أصبحتُ من الغد، رجعتُ فقلتُ مثلَ ما قلتُ بالأمس، فقالوا: قومُوا إلى هذا الصَّابئ، فصُنِعَ بي مثلُ ما صُنع بالأمسِ، فأدركني العباسُ، فأكبَّ عليَّ وقال مثلَ مقالته بالأمس[١].!

رواية أبي نُعَيْم في الحلية

وروى الطبراني وأبو نُعيم في الحلية عن أبي ذرٍّ رضي اللَّه عنه أنه قال: (أقمتُ مع رسول اللَّه ﷺ بمكة، فعلَّمني الإسلامَ، وقرأتُ من القرآن شيئاً، فقلتُ: يا رسولَ اللَّه، إني أُريد أن أُظهرَ ديني! ـ أي أعلنَ إسلامي أمامَ المشركين ـ فقال لي رسولُ اللَّه ﷺ: إني أخاف عليك أن تُقْتل!!

قلتُ: لا بدَّ من ذلك وإن قُتلتُ!! قال: فسكتَ عنِّي!

فجئتُ إلى مجمع قريش، وهم (حِلَقٌ) يتحدثون في المسجد، فقلت: يا قوم، إني أشهد أن لا إلٰه إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه!!

قال: فانتفضَتِ الحِلَقُ، فقاموا نَحْوي، فضربوني حتى تركوني كأني نُصُبٌ أَحْمرُ ـ أي ضربوه حتى أدموه، فصار كالنُّصُب الملطَّخ بدم الذبائح ـ وكانوا يظنون أنهم قتلوني، قال: فأفقتُ، فجئتُ إلى رسول اللَّه ﷺ، فرأى ما بي من الحال، فقال لي: ألم أَنْهَك؟ ـ أي ألم أحذِّرك من إعلانِ هذا أمامهم ـ!؟

فقلتُ: يا رسولَ اللَّه، كانت حاجةً في نفسي فقضيتُها!!

قال: فأقمتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقال: الحقْ بقومك، فإذا بَلَغك ظهوري فَأْتني)[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٢/ ٣٢٣.
(٢) أخرجه أبو نُعيم في الحلية ١/ ١٥٩ والحاكم ٣/ ٣٣٨ بطرقٍ مختلفة.

إسلام أبي ذرّ كما في رواية مسلم

وقصة إسلام (أبي ذر) أخرجها مسلم أيضاً في صحيحه بصفةٍ مختلفة، وقد جاء فيها ما يلي:

(لمَّا بلغني مبعثُ رسول اللَّه ﷺ قلت لأخي: اركبْ إلى هذا الوادي، فاعلمْ لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبيٌّ!؟

فانطلق أخي فأتى مكة، ثم قال لي: أتيتُ مكة فرأيتُ رجلاً يسميه الناسُ (الصَّابئَ) هو أشبهُ النَّاسِ بك، فقلت: أينَ الصَّابئُ؟ فارتفع صوت: صابئٌ، صابئٌ، فرماني النَّاسُ، وضربوني ضرباً شديداً، حتى كأني نُصُب أحمر، فاختبأت منهم، ولبثتُ في مكة خمسة عشر يوماً وليلة، ما لي طعام ولا شرابٌ إلَّا (ماءُ زمزم).!

قال: ولقينَا رسولُ اللَّه ﷺ وأبو بكر رضيَ اللَّه عنه، وقد دخلا المسجد، فواللَّهِ إني لأوَّلُ الناس حيَّاه بتحية الإسلام، فقلت: السلامُ عليك يا رسولَ اللَّه! فقال: «وعليك السلامُ ورحمةُ اللَّه» من أنت؟ فقلتُ: رجلٌ من بني غفار.!

فقال صاحبه - يعني أبو بكر -: ائذنْ لي يا رسولَ اللَّه في ضيافته الليلةَ؟ فأذِنَ له.!

قال: فانطلق بي إلى دارٍ في أسفل مكة، فقَبَضَ لي قَبَضاتٍ من زبيب، قال: فقدمتُ على أخي فأخبرتهُ أني أسلمتُ).!!

قال: فإني على دينك، فانطلقنا إلى أمِّنا، فقالتْ: إني على دينكما.

قال: وأتيتُ قومي فدعوتُهم إلى الإسلام، فأسلم بعضهم)[١].

جهاد أبي ذرّ رضي اللَّه عنه

رحمَ اللَّهُ أبَا ذَرّ، فقد كان من السابقين إلى الإسلام، حمل قربته وزادَه، وذهب يقطع القِفَار، باحثاً عن الهدى والنور في مكة، فلمَّا دخل مكة، تدثَّر بدثار الاستخفاء عن عيون قريش، ولمَّا عَرَف أنَّ الداعي إلى الهدى، هو رسولُ اللَّه حقاً، لم يتردَّدْ لحظةً واحدةً، فأعلنَ إسلامه، وأخذ يصرخ بكلمة التوحيد (لا إلٰهَ إلَّا اللَّهُ محمد رسول اللَّه) وأرسلها صيحةً مجلجلةً مُدَوِّيَةً، يتحدَّى بها صناديدَ الكفر، ولم يُبالِ بما ناله من ورائها من أذى وبلاء، لأن الإيمانَ غَمَر قلبَه، فما أراد أن يخفيَ هذا الإيمان، بل جَهَر به بين طواغيت مكة، ورؤساء الكفر والضلال، وهذا شأن المسلم الصادق،

---

(١) انظر صحيح الإمام مسلم.

الذي يعتزُّ بدينه، ويُضَحِّي براحته ونفسه، لنصرة كلمة الحقِّ والدِّين!

زهد أبي ذرٍّ رضي اللَّه عنه

عاش أبو ذرٍّ رضي اللَّه عنه زاهداً في الدنيا، مقبلاً على طاعة اللَّه، يأخذ من الدنيا الكَفَافَ، وينفقُ الزائد في سبيل اللَّه، أَخَذَ بوصيَّة رسول اللَّه ﷺ (ازهدْ في الدنيا يحبَّك اللَّهُ، وازهدْ فيما في أيدي الناس يحبَّك الناسُ)(١).

قال ذلك رسولُ اللَّه ﷺ، لمن سأله عن عملٍ إذا عَمِله، أحبَّه اللَّهُ، وأحبَّه الناس، فأوصاه بتلك الوصية، التي جعلها أبو ذرّ منهجاً له في الحياة، فانصرف عن الدنيا، مشتغلاً بطاعة اللَّه، والتزوُّدِ للآخرة.!

والزُّهدُ في الدنيا: هو البعدُ عن شهواتها، وحُطَامها الزائل، بحيث لا يتكالب على جمعها، وإنما يكون همُّه الآخرةُ، وتكون الدنيا وسيلةً له، لا غايةً تشغله عن نعيم الآخرة، كما قال سبحانه: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ...﴾ الآية [القصص: ٧٧].

والزهدُ فيما في أيدي الناس: أن لا يطمع بما في أيديهم، ولا ينازعهم في محبوبهم، فمن نازعهم فيها أبغضوه، لأن البشر يَتهافتُون على الدنيا، تهافتَ الذُّبابِ على الحَلْوى، والكلابِ على الجِيَف، ومن هذا الوجه شَبَّهَ الإمام (الشافعيُّ) رحمه اللَّه الدنيا بهذا التشبيه البديع، حين قال:

وَمَا هِيَ إِلَّا جِيفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ ... عَلَيْهَا كِلَابٌ هَمُّهُنَّ اجْتِذَابُهَا
فَإِنْ تَجْتَنِبْهَا كُنْتَ سِلْماً لأَهْلِهَا ... وَإِنْ تَجْتَذِبْهَا نَاهَشَتْكَ كِلَابُهَا

حقيقةُ الزهد عند أبي ذرٍّ رضي اللَّه عنه

أمَّا حقيقةُ الزهد الذي اكتسبه (أبو ذرّ) وسار عليه في حياته، فهو الدرسُ الذي تلقَّاه من رسول اللَّه ﷺ بصحبته له.

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي ذرّ رضي اللَّه عنه أنه قال: (كنتُ أمشي مع النبيِّ ﷺ في حَرَّةٍ - أرض ذات حجارةٍ سوداءَ - بالمدينة، فاستقْبَلَنا أُحُد - أي شاهدنا الجبلَ - فقال رسولُ اللَّه ﷺ: يا أبا ذرٍّ! قلتُ: لبَّيْكَ يا رسول اللَّه!

فقال: ما يَسُرُّني أن لي مثلَ أُحدٍ هذا ذَهَباً، تمضي عليَّ ثلاثةُ أيَّام، وعندي منه دينارٌ، إلَّا شيءٌ أرْصدُه لِدَيْنٍ - أي أحفظه وأُبقيه لقضاء دَيْنٍ عليَّ - إلَّا أن أقول به في

---

(١) الحديث رواه ابن ماجه بإسناد حسن.

عباد اللَّه هَكَذا، وهَكَذا، وهكذا ـ أي أُنفِقه عن يميني وشمالي ومن خلفي ـ!!

ثم سار ساعةً فقال: إنَّ الأكثرينَ هم الأَقَلُّون يومَ القيامة، إلَّا من قَالَ بالمالِ هكذا، وهكذا، وهكذا، عن يمينه، وعن شماله، ومن خَلْفِه، وقليلٌ ما هم)[١].

ومعنى الحديث الشريف: أن الأكثرين مالاً في الدنيا، هم الأَقلُّون حظاً ومنزلة يوم القيامة، إلَّا من جَمَع المالَ وأنفق منه في وجوه الخير، والبرِّ، والإحسان، فهذا الذي ينجو من الحساب، وهؤلاء قلةٌ قليلة.

اقتداءُ أبي ذرّ بهدي الرسول ﷺ

لقد وعى (أبو ذرٍّ) هذا الدرسَ، واقتبسه من مشكاة النبوة، فكان على جانب عظيم من الزهد في الدنيا، ولهذا لمَّا تولَّى عثمانُ رضي اللَّه عنه الخلافةَ، جاءه (أبو ذرٍّ) يطلب منه أن يأذن له خليفةُ المسلمين، أن يتحوَّل إلى الرَّبَذَة ـ وهو مكانٌ على بُعد ثلاثة أميال من المدينة ـ فقال: نعم يا أبا ذرٍّ، ونأمرُ لكَ بشيء من إبلِ الصَّدقة، تغدُو عليك وتروح!!

فقال له أبو ذرٍّ: أَبْعِدوا عنَّا دنياكم، لا حاجةَ لي فيها، إنما تكفي (أبا ذَرٍّ) عنزةٌ يشرب لَبَنها، وكوخٌ يستظلُّ به، ويأوي إليه، دَعُونا وربَّنا ودينَنَا!!

إني أخافُ أن أُحَاسَبَ على الفَضْل[٢] ـ أي الزائد ـ وحين بعثَ (حَبِيبُ بنُ مَسْلمةَ) ـ وهو أميرُ الشام ـ إلى أبي ذرٍّ بثلاثِ مائةِ دينار، وقال لعامله: قل له يستعين بها على حاجته!!

قال له أبو ذر: ارجعْ بها إليه، وقل له: أَمَا وَجَد أغفلَ وأجرأَ على اللَّه منَّا!!

وأبى رضي اللَّه عنه أن يقبلها.!

ثم قال له: ما لنا إلَّا ظِلٌّ نتوارى به، وغَنَمٌ تروحُ علينا، ومولاةٌ ـ أي خادمةٌ ـ تصدَّقتْ بخدمتها علينا، ثم إني لأخافُ الفَضْل[٣]. أي أخاف من الزيادة على هذا فأحاسب عليه.!

ثناء النبي ﷺ على أبي ذرٍّ رضي اللَّه عنه

لقد كان ثناء النبي ﷺ على (أبي ذرٍّ) مصدرَ عزٍّ وفخارٍ له، لما يعلمه

---

(١) الحديث رواه البخاري ومسلم، وهذا لفظ البخاري.

(٢) أخرجه أبو نُعيم في الحلية قريباً منه ١/ ١٦٠.

(٣) الحلية ١/ ١٦١.

رسولُ اللَّه ﷺ من صدقه، ووفائه، وإخلاصه، وجَهْرِهِ بالحقِّ، دون أن يخشى في اللَّه لومةَ لائم، فقد قال صلوات اللَّه وسلامه عليه (ما أظلَّتِ الخضراءُ، ولا أقلَّتِ الغبراءُ ـ يعني السماءُ والأرضُ ـ من ذي لهجة، أصدقَ ولا أوفى من أبي ذرٍّ، شَبَهُ (عيسى ابن مريم) عليه السلام!!

فقال عمر رضيَ اللَّه عنه كالغابط له: أفنعرف ذلك له يا رسول اللَّه! قال: نعم فاعرفوه له)[١].

أي ليس بين السماء والأرض أصدق ولا أوفى من أبي ذر، فباطنُه وظاهره واحد، حتى صار غريباً ووحيداً بين قومه وعشيرته، وجهر بكلمة التوحيد بين أعداء اللَّه الألدَّاءِ، ليصدق ظاهره وباطنُه، ولم يكترث بما ناله من أذى قريش الطغاة الجبابرة، فقد مثَّل أحسن الصور لاعتزاز المسلم بدينه، وأعلى منار الإسلام بجهره بكلمة التوحيد، وهذا أعظم الجهاد، كما جاء في الحديث الشريف (أفضلُ الجهادِ كلمةُ حقٍّ عند سلطانٍ جائر).

عاش أبو ذر وحيداً، ومات شهيداً، ولم يزده الإسلامُ إلَّا قوةً وصموداً. !

إحسانُ أبي ذرّ لعبده المملوك

لقد كان أبو ذر يكرم عبده المملوك، فيُلْبِسه ما يلبس، ويُطعمه ممَّا يأكل، ويعامله معاملة الأخ لأخيه، فسُئِل عن سبب ذلك؟ فأخبرَ بهذه القصة التي رواها لنا البخاريُّ ومسلم عن (المعرور بنِ سُويد) قال: رأيتُ (أبا ذرٍّ) رضي اللَّه عنه وعليه حُلَّةٌ، وعلى غلامه مثلُها، فسألتُه عند ذلك؟ فذكَرَ أنه عيَّر عبداً له بأمِّه ـ أي قال له: يا ابنَ السوداء ـ فسمعَهُ رسولُ اللَّه ﷺ فقال له: يا أبا ذرّ، إنك امرؤٌ فيك جاهلية، إخوانكُم خَولُكم ـ أي هؤلاء الخدمُ والعبيدُ هم إخوانكم في الإنسانية ـ جعلهم اللَّه تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فلْيُطْعِمْه ممَّا يأكل، ولْيلبسْه ممَّا يلْبَسُ، ولا تكلِّفوهم ما يغلبهم، فإن كلَّفتموهم فأَعينوهم)[٢].

رحم اللَّه أبا ذر رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، فقد عرف الإسلام معرفةً تامةً، ورضع من لَبَانه، وتقيَّد بتعاليمه وأحكامه، فهنيئاً له بجنات الخلد والنعيم، مع الذينَ أنعمَ اللَّه عليهم ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾!!

* * *

(١) رواه الترمذي بسند حسن.
(٢) رواه البخاري ومسلم.

قصة إسلام عبد الله بن سلام

٣٩

(عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَام) رئيسُ أحبارِ اليهود في المدينة المنورة، ويُعتبر المرجعَ الدينيَّ لجميع اليهود، فقد كان أعلمَهم وأعظمَهم، وأرفعَهم مكانةً وقدراً، حتى انتهت الرئاسةُ والزَّعامةُ إليه دون منازع!

كان يقرأ التوراةَ، ويعلم علمَ اليقين، أنه سيبعثُ في آخر الزمان، نبيٌّ يخرج من مكة، يكون خاتمَ الأنبياءِ والمرسلين، ويبشِّر الناسَ بقرب مجيئه، كما أخبرت التوراة، وكما أخبرهم نبيُّهم موسى عليه السلام: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ .... ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٧].

فخاتم الأنبياء والمرسلين (محمد) ﷺ، بشَّرتْ به الكتبُ السماوية، وعلماءُ اليهود والنصارى، يعرفون ذلك، ممَّا في كتبهم من أوصاف خاتم المرسلين، كما أخبر تبارك وتعالى عنهم بقوله سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٦].

رواية البخاري في إسلام (عبد الله بن سلام)

يروي لنا الإمام البخاري في صحيحه قصة إسلامه فيقول: (بَلَغ عبدَ اللَّهِ بنَ سَلَام)، مقدمُ النبيِّ ﷺ المدينةَ ـ أي هجرته إلى المدينة المنورة ـ فجاءَ يمتحنه، ويسألُه عن أشياءَ ليعرف صدقَ نبوَّته، فقال له: يا محمَّدُ، إني سائِلُكَ عن ثلاث، لا يعلمهنَّ إلَّا نبيٌّ!! ـ وأخبره أنه إن ذكرها له يؤمنُ به ـ.

١ ـ سأله: ما أَوَّلُ أشراط الساعة؟ ـ أي علاماتها الكبرى ـ.

٢ ـ وسأله: ما هو أول طعامٍ يأكله أصحابُ الجنة؟

٣ ـ أما السؤال الثالث: فهو ما بالُ الولد يَنْزِعُ إلى أبيه أو أمه؟

ـ أي كيف يكون له شبَهٌ بأبيه أو شَبَهٌ بأمه ـ؟

فقال له ﷺ: لقد أخبرني بذلك جبريلُ آنفاً ـ أي قبل قليل ـ.

فقال له عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَام: ذاك عدوُّ اليهود من الملائكة! ـ يريد أن اليهود يبغضونه ويكرهونه لأنه حَمَل جبل الطور فوقهم ـ.

جواب الرسول ﷺ عن أسئلته

ثم أخبره ﷺ بها جميعاً، فقال له:

١ ـ **أمّا أولُ أشراط الساعة:** فنارٌ تحشرُهم من المشرق إلى المغرب ـ أي أولُ علاماتها الكبرى: هي نار عظيمة ملتهبة، واسعة الانتشار، تسوق الناسَ من جهة الشرق إلى جهة الغرب، هرباً منها وفَزَعاً.

٢ ـ **وأمّا أولُ طعامٍ يأكله أهلُ الجنة:** فهو زيادةُ كبِدِ الحُوتِ ـ أي يُقدَّم لهم طَرَفٌ من كبد حوتٍ، من حيتان الجنة، ألذُّ من لحم الطير، يُقَدَّم لهم كضيافة عاجلة، كما تقدم (الشوربا) في الدنيا للضيوف، ثم تأتيهم الملائكةُ، بأنواع المآكل اللذيذة، والمشارب الفاخرة ـ!!

٣ ـ وأمّا الولدُ فإذا سَبَق ماءُ الرجل ماءَ المرأة ـ أي سبق ماءُ الرجل لتلقيح البويضة في الرحم ـ نَزَع الولدُ ـ أي جاء المولود (ذَكَراً) بإذن اللّه تعالى ـ.

وإذا سبَقَ ماءُ المرأةِ ماءَ الرجلِ نَزَعت الولَدَ ـ أي ولدت أنثى بإذن اللّه تعالى ـ!!

وفي رواية أخرى: إذا غَلَب ماءُ الرجل ماءَ المرأةِ أَذْكَرَ بإذن اللّه، وإذا غلبَ ماءُ المرأة ماءَ الرجل أنَّث بإذن اللّه تعالى!!

فقال له عبد اللّه بن سلام: (أشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللّهُ، وأشهدُ أنك رسولُ اللّه)! أعلنَ رضي اللّه عنه التوحيدَ ودخل في الإسلام.

الرسول ﷺ يدعو أحبارَ اليهود

ثم قال للرسول ﷺ: يا رسول اللّه، إن اليهود قوم بُهْتٌ ـ أي يرمون الإنسانَ بما ليس فيه، ويتَّهمونه باتهامات شنيعة ـ وإنهم إن يسمعوا بإسلامي يَبْهتوني! ـ أي يرمونني بالزور والبهتان ـ فأرسلْ إليهم فاسألْهم عنِّي، قبل أن يعلموا بإسلامي.!

فبعثَ ﷺ إلى رؤسائهم وأحبارهم، فلما جاءوا عنده سألهم: أيُّ رجلٍ عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَام فيكم؟ ـ أي كيف مكانتُه ومنزلتُه عندكم ـ؟

فقالوا جميعاً: هو خيرُنا وابنُ خيرنا، وأفضلُنا وابنُ أفضَلِنا ـ وأخذوا يكيلون له المديحَ والثناءَ ـ!!

فقال لهم النبيُّ ﷺ: أرأيتُمْ إن أسْلَمَ عبدُ اللَّه بنُ سَلَام؟ ـ يعني كيف يكونُ أمركُم وموقفكم؟ هل تُسلمون مثلَه؟ ـ قالوا: أعاذَه اللَّهُ من ذلك ـ أي أجاره اللَّه وعصَمه أن يترك اليهوديةَ ويدخل في دين الإسلام ـ!!

فأعاد عليهم ﷺ ذلك، فأعادوا عليه مثلَ ذلك الجواب!!

وكان عبدُ اللَّه مختبئاً وراء ستارة، فخرجَ إليهم وهم يتحدثون مع الرسول عليه السلام، وجَهرَ بالإسلام أمامهم فقال:

(أشهد أن لا إلٰه إلا اللَّهُ وأن محمداً رسولُ اللَّه).

تغييرُ اليهود لشهادتهم والطعنُ في ابن سلام(١)

لم يغادروا مجلسَ رسول اللَّه بعدُ، وفوراً غيَّروا كلامهم، فقالوا: مَنْ هذا؟ شرُّنا وابنُ شرِّنا وتنقَّصوه ـ أي أخذوا يكيلون له السِّبابَ والشتائم ـ.

فقال عبدُ اللَّه بن سلام: يا رسولَ اللَّهِ هذا ما كنتُ أخشاه وأخافه منهم، وفيه نزلت هذه الآية الكريمة: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠].

وروى البخاري ومسلم عن سعدِ بنِ أبي وقَّاص رضي اللَّه عنه أنه قال: (ما سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقول لإنسان حيّ يمشي على وجه الأرض، إنه من أهل الجنة، إلَّا (لعبد اللَّهِ بن سَلَام) وفيه نزلت الآية الكريمة: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾(٢) [الأحقاف: ١٠].

رؤيا سارَّة لعبد اللَّه بن سلام رضي اللَّه عنه

كان (عبد اللَّه بنُ سلام) رأى في إحدى الليالي (رؤيا منامية) فقصَّها

(١) هذه القصة رواها البخاري في صحيحه في كتاب المناقب ٢/ ٣٤٠.
(٢) رواه البخاري ومسلم.

على رسول اللَّه ﷺ، وهذه الرؤيا أوَّلَها له رسولُ اللَّه ﷺ بأن اللَّه يحفظه من الفتن، ويميتُه على الإسلام، ويدخله الجنة، وتفسيرُ الرسول ﷺ لهذه الرؤيا، تفسير صادقٌ وبديع، فقد نزلت في ابن سَلَام آياتٌ من القرآن، تشهد له بصدق الإيمان!

روى البخاري ومسلم عن قيس بن عَبَّادٍ رضي اللَّه عنه أنه قال: (كنتُ جالساً في حَلْقةٍ في مسجد المدينة، فدخل رجلٌ على وجهه أثرُ الخشوع، وكان معنا (سعدٌ، وابنُ عمرَ)، فقالوا: هذا رجلٌ من أهلِ الجنة، فصلَّى ركعتين تجوَّز فيهما ـ أي خفَّف الصلاة ـ ثم خرج ـ!

قال: فتبعتُه فقلتُ له: إنهم قالوا كذا، وكذا ـ أي أثنوا عليك خيراً، وأخبروا أنك من أهل الجنة ـ فقال: سبحانَ اللَّه، ما كان لهم أن يقولوا ذلك، ولا ينبغي لأحدٍ أن يقول ما لا يعلم ـ قال ذلك تواضعاً منه ـ وسأحدثك عن سبب ذلك!! (كنتُ رأيتُ رؤيا على عهد النبيِّ ﷺ فقصَصْتُها عليه.! رأيتُ كأني في رَوْضةٍ ـ أي حديقة ـ خَضْراءَ، ذَكَر لي من سَعَتها وخضرَتِها. . رأيتُ وسْطَها عموداً من حديد، أسفلُه في الأرض، وأعلَاهُ في السماء.!

في أعلاهُ عُروةٌ، وفي أسفله مِنْصَفٌ ـ أي سُلَّم كأنه منبر ـ فقيل لي: ارقَهْ ـ أي اصعدْ عليه ـ قلتُ: لا أستطيع، فأتاني المِنْصَف ـ أي السُلَّم ـ فَرَفَعَ ثيابي من خلفي، فَرقيتُ حتى أخذتُ بالعُروة، فاستيقظتُ وإنها ـ يعني العُروة ـ لفي يدي!!

فقصَصْتُها على النبيِّ ﷺ فقال لي ـ أي فسَّرها لي ـ بقوله:

١ ـ تلكَ الروضةُ: (الإسلامُ) ـ أي بستانُ الإسلام الناضر ـ.

٢ ـ وذلكَ العمودُ: (عمودُ الإسلام).

٣ ـ وتلكَ العُروةُ: (عُروةُ الإسلام الوُثْقَى) ـ أي المتينةُ ـ، فأنتَ على الإسلام حتى تموت)[١].

نصرةُ ابنِ سَلام لعثمانَ رضي اللَّه عنه

روى الترمذي في سننه عن عبد اللَّه بن سلام رضي اللَّه عنه أنه قال: (لمَّا

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب ٢/ ٣١٤.

أرادوا قتل عثمان، جئتُ فدخلتُ عليه، فقال: ما جاءَ بك؟ **قلتُ**: جئتُ في نُصرتكَ، قال: اخرجْ إلى النَّاس فاطردْهم عنِّي، فإنك خارجاً، خيرٌ لي منك داخلاً ـ أي اخرجْ فانصحهم، فهذا خير من دخولك منزلي لتكون في نصرتي!!

قال: فخرجتُ وقلتُ: أيها الناسُ إنَّ اسمي كان في الجاهلية (حُصَيْناً) فسمَّاني رسولُ اللَّه ﷺ (عبدَ اللَّهِ بنَ سَلَام) ونزلتْ فيَّ آياتٌ في كتاب اللَّه تعالى تقرءونها: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [الأحقاف: ١٠] ونزلت فيَّ آية كريمة: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[1] [الرعد: ٤٣].

ثم قال لهم ناصحاً: إن للَّهِ تعالى سيفاً مغموداً عنكم، أي غير مسلول فلا تُخرجوه ولا تقتلوا به، وإنَّ الملائكةَ قد جاورتكم في بلدكم هذا المبارك، الذي نزل فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ!!

اللَّهَ اللَّهَ في هذا الرجلِ، أن تقتلوه!! أي أحذِّركم غضبَ اللَّهِ وانتقامه إنْ أقدمتم على قتله.

فواللَّهِ لئن قتلتموه، لتَطْرُدُنَّ جيرَانكم الملائكةَ، وَلتُسْكِنُنَّ منازلكم الشياطينَ، ولتَسُلُّنَّ سيفَ اللَّه المغمود عنكم، فلا يغمد عنكم إلى يوم القيامة ـ يعني يفشو القتل فيكم فلا ينتهي إلى يوم القيامة ـ!!

قالوا: (اقتلُوا اليهوديَّ ابنَ سلام، واقتلُوا عثمان)[2].

نصيحة ابن سلام للخوارج

نصحهم عبدُ اللَّه بن سلام، فلم يقبلوا نُصحه، بل زادوا في الغيِّ والإمعان في الضلال، فقالوا: اقتلوا عثمان، واقتلوا أيضاً من يناصره وهو (عبدُ اللَّهِ بنُ سَلام)... هذا هو أمر الخوارج الذين خرجوا على الخليفة (عثمان بن عفان) رضي اللَّه عنه، لم يكتفوا بقتل عثمان، بل أرادوا قتل

(١) عبد اللَّه بنُ سلام هو الذي عنده (علمُ الكتاب) أي التوراة، أضافه اللَّه تعالى له في الشهادة على صدق ما جاء به النبي ﷺ وصدق رسالته، وهذا قرآن يتلى ما دامت الدنيا، وهذا شرف عظيم ورفيع منزلة عند اللَّه تعالى لعبد اللَّه بن سلام رضي اللَّه عنه.

(٢) رواه الترمذي وفي إسناده غرابة، وانظر التاج الجامع للأصول ٣/ ٤٠٨.

الناصح لهم (عبد اللَّه بنَ سلام) رضي اللَّه عنه وأرضاه، وجعل الجنة مسكنه ومأواه.

لقد كان إسلامُه محطَّ إعجاب جميع أصحاب رسولِ اللَّه ﷺ، لأنَّ شهادته بأن القرآن من عند اللَّه، شهادةٌ من (عالم ربانيٍّ) من علماء أهلِ الكتاب، فلها أثرٌ عظيم، لا سيَّما من مثل أحد كبار أحبار اليهود، ولهذا جعل اللَّه شهادَته حجةً تُذكر، وآيةً تتلى، وكفى بهذا عزاً له وفخاراً!!

وشهادةً من اللَّه عزَّ وجلَّ له بصدق إيمانه، وقد قال صلواتُ اللَّه وسلامه عليه: (لو آمنَ بي عشرةٌ من اليهود، لآمنَ بي اليهود[١]) أي جميع اليهود الذين كانوا في زمانه، لأن الناس يتبعون الرؤساء، وهذه سُنَّةُ البشر.!

هذه سيرةٌ عطرة من حياة (عبد اللَّه بن سلام) رضي اللَّه عنه، فقد كان إسلامه مبعثَ فخارٍ واعتزازٍ، من جميع الصحابة رضوان اللَّه عليهم، لأن بإسلامه أكبرَ شاهد وبرهان، على صدق نبوَّة خاتم المرسلين ﷺ، ولذلك أشاد بذكر إسلامه القرآن.

* * *

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة في كتاب المناقب ٢/ ٣٤٠.

obeikandl.com